

- «ميترا» .

ولم يفتأ يردّد: .

- ملعون! ملعون! ملعون! .

أو لم يعلموه منذ طفولته أن يهرب من «اليونانيين»، ألم يحظروا عليه أن يأكل خبزهم أو يدخل منازلهم؟ فبأيّ غرور مجنون أجاز لنفسه حقّ انتهاك ذلك؟ وما هو ذا بعدئذٍ منهمك في رسم الأوثان. مُلجّد، كافر، ملعون.

إلى أين كان بإمكانه اللجوء إن لم يكن إلى شبه جزيرته التي لم يكن «مالكوس» نفسه يعرفها. ولقد ودّ لو يمتسبب فيها وينسى نفسه ويُدفن فلا يعثر إنسان أبداً على جثمانه. ومن غير أن يلتقط أنفاسه انحنى فوق الماء لتهدئة عينيه.

ها هو ذا الآن ممدّد ويرفقاها مستندان إلى حافة التربة ووجهه ملتصق بصفحة الماء وقفازه الجليديان الواسعان عاثمان مثل مركبتين شرعيتين على وشك الغرق. وظلّ وقتاً طويلاً على هذا النحو مُسترخياً، بل ربما أخذته سِنَّةٌ من النوم. وعندما نظر من جديد رأى صورته، وقد انعكست مشوشةً باديء الأمر، ثم أكثر فأكثر صفاءً كلما زایل التغضن صفحة الماء. ولم يكن قد سبق له قطّ أن رأى وجهه من مثل هذه المسافة القريبة. وقد علقت بشفتيه المنفرجتين قطرة ماء.

وقال مرّةً جديدةً «ملعون!» بيد أن شفّتيه ظلّت في الماء بلا حراك.

وفكّر عندئذٍ في أن يُقلّصهما في تكشيرة موحشة، فلم تتقلّص الشفتان في الماء. بل ابشمتا. وحاكتها شفتاه على مهل. ولم يكن الماء قطّ هو الذي يعكس صورته، وإنما كان وجهه هو الذي يحاكي حركات شخصه الآخر المتراخي في الماء.

وسالت من شفّتيه فجأةً كلمات، كلمات لم تكن صادرة عنه، ولكنّه كان يتلقّظ بها مع ذلك بصوته: .